

يتناول البحث طريقة من طرق تدريس اللغات الأجنبية وهذه الطريقة لها أسس علمية في أوروبا وقد آتت أكلها في بعض البلاد وفي هذا البحث عرضت تجربتي في تعليم اللغة العربية بطريقة الانغماس اللغوي طلاب مدرسة الإمام والخطيب الثانوية- تركيا أنموذجاً، وأنقل في هذا البحث خبرة ست سنوات في مجال تعليم اللغة العربية في تركيا، ثلاث سنوات معلمة في مدرسة من أفضل مدارس تركيا، وثلاث سنوات باحثة ومعلمة ومدرّبة في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

الكلمات المفتاحية: تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها- طرق تعلم اللغات-واقع اللغة العربية في تركيا الانغماس اللغوي.

اللغة العربية بين الانغماس والترجمة تركيا أنموذجاً

مقدمة

شهد ميدان تعليم اللغة العربية في الآونة الأخيرة اهتماماً كبيراً في كثير من البلاد؛ وذلك لأنها لغة عالمية ضمن اللغات الست الرسمية، كذلك تحتل المركز الرابع بين أكثر اللغات انتشاراً وفقاً لأحدث الإحصائيات العالمية، ويتحدث بها 425 مليون شخص (أربعمائة خمسة وعشرون مليون) تقريباً، حوالي 6.6 % من سكان العالم، وأصبحت لغة معتمدة رسمياً في الأمم المتحدة عام 1974. وتتركز غالبية الدول الناطقة باللغة العربية في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أو ما نسميه اليوم بالعالم العربي، إذ يصل عدد الدول التي تعتبر العربية لغة رسمية أو لغة رسمية مشتركة إلى 25 دولة.

وقد انعكس ذلك على ميدان تعليم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية فأصبح مجالاً واسعاً وميداناً خصباً لكثير من التجارب الرائدة، وفي هذا البحث سوف أسلط الضوء على طريقة الانغماس اللغوي، وتدريس المهارات بشكل تكاملي تجربتي في مدارس الإمام والخطيب التركية أنموذجاً.

اعتمدت مناهج تعليم اللغات الأجنبية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر على طريقة القواعد والترجمة، التي تقوم على أساس أن اللغة نظام من القواعد النحوية التي يكلف الدارس بحفظها وعلى هذه الطريقة فإن الدرس عبارة عن نص أو مجموعة من النصوص التي يتدرب الدارس على ترجمتها بادئاً بالمفردات، ثم الجمل، ثم النصوص كاملة. ويلاحظ أن التركيز هنا على القراءة والكتابة والترجمة فقط.

ثم جاءت الطريقة المباشرة كرد فعل لطريقة النحو والترجمة مع بداية القرن العشرين في أوروبا ثم في الولايات المتحدة. وقد ظهرت هذه الطريقة اعتماداً على نظرية "بافلوف" وأنصاره في الارتباط الشرطي. التي ترى أن الطريقة التي يتعلم بها الدارس اللغة الثانية تشبه الطريقة التي يتعلم بها الطفل لغته الأم. ومعنى هذا أن الدراسة الواعية المبرمجة لقوانين اللغة ليست شرطاً ضرورياً لاكتساب أو تعلم لغة معينة. وفي هذا الصدد يقول أحد علماء اللغة "إن تلقين قوانين اللغة للمتعلم تعد تدخلاً غير مشروع في وظيفة الدماغ في تعلم اللغة".

وفى هذه الحالة تُدرس اللغة أصواتاً وجمالاً في مواقف طبيعية، ترتبط فيها الرموز اللغوية بمدلولاتها الواقعية، وعن طريق تجسيد الأفعال من المعلم، أو لعب الدور مع الطلاب، وعن طريق ربط الكلمات والجمل بمدلولاتها من البيئة الطبيعية، أي الربط المباشر بين الاسم والمسمى، وقد ترتب على هذا الاعتبار الترتيب الطبيعي لمهارات اللغة هو: الاستماع، فالكلام، فالقراءة، فالكاتبة.

وهو ما يطلق عليه (الانغماس اللغوي) ولا شك بأن هذه الطريقة تحتاج إلى مهارة عالية في توصيل المعلومات للمتعلم بشكل دقيق وصحيح، وكذلك أن يكون المعلم على قدر كبير من المعرفة اللغوية، حتى يتمكن من إدارة الدرس دون الاستعانة بالترجمة. وفي هذا البحث سوف أنقل تجربتي من داخل المدارس التركية حيث يقوم الأساتذة العرب باستخدام طريقة الانغماس اللغوي داخل الصفوف، وتدرّس المهارات بشكل تكاملي في مرحلتي الثانوية والجامعة.

واقع تعليم اللغة العربية في تركيا

شهدت الآونة الأخيرة اهتماماً كبيراً وإقبالاً عظيماً على تعلم اللغة العربية في كثير من بلاد العالم، ولاسيما تركيا في السنوات العشر الأخيرة. حيث وصل عدد المدارس التي تدرس العربية إلى (854 مدرسة) (عام 2014) بعد أن كان 453 مدرسة تقريباً في عام 2005م، وعلى مستوى الجامعات فإن كليات العلوم الإسلامية (الإلهيات) -التي تعتبر اللغة العربية مادة أساسية فيها - قد تجاوز عددها (95) كلية تقريباً بعد أن كان عددها قبل خمس سنوات (21) كلية في عموم تركيا، وفي هذه الجامعات تُدرس اللغة العربية لمدة عامًا كاملاً بشكل مكثف وتسمى السنة التحضيرية (Hazırlık Arapça) وتقتصر الدراسة على اللغة العربية وقواعدها وبعض دروس الترجمة ودروس القرآن الكريم، وفي نهاية هذه السنة يتم تكريم الطلبة المتفوقين بإرسالهم ضمن برنامج تعليمي لممارسة اللغة واستكمال دراستها إلى الأردن، وبعد أن يتقن الطلاب اللغة العربية في هذه السنة التي قد يصل عدد دروس اللغة العربية في الأسبوع الواحد إلى ثلاثين درساً، يلتحقوا بكلية الإلهيات لمدة أربع سنوات. وفي هذه السنوات الأربع يتم دراسة اللغة بعدد ساعات أقل، وتقتصر الدروس على الكتب الأكاديمية نحو (البلاغة-النحو-الأدب-النصوص القديمة).

ونرى الحال نفسه مطبق في مدارس الإمام والخطيب الثانوية، حيث يلتحق الطلاب بعد مرحلة المتوسطة بالمدارس الثانوية التي تعرف باسم (بوروجا) وفي هذه المدارس يدرس الطلاب ثلاث لغات: اللغة الأم (التركية)، ولغتان أجنبيتان (العربية-الإنجليزية) تُسمى بالسنة التحضيرية (Hazırlık Arapça). حيث يدرس الطلاب في قسم اللغة العربية سنةً كاملةً خارجة عن السنوات الأربع الدراسية التي تكون قبل الجامعة، وفي هذه السنة يكون الاهتمام الأكبر باللغة العربية، ويتم استقدام عدد من الأساتذة العرب لتعليم اللغة العربية بمهاراتها الأربع، والاهتمام باللغة العربية هدف من أهداف تركيا الحديثة التي تدعو إلى الرجوع للغة العثمانية القديمة والاهتمام بها، ومما لا يخفى على أحد أن اللغة العثمانية تحتوي على كثير من الكلمات والمصطلحات العربية.

كذلك لتحسين التجارة والعلاقات مع الدول العربية، ولأن اللغة العربية هي لغة الدين ولغة القرآن الكريم، والشعب التركي شعب مرتبط بدينه ومن هنا بدأ الاهتمام باللغة العربية في ظل الحكومية الحالية، وشجع حزب التنمية والعدالة مشروع اللغة العربية مادياً ومعنوياً.

السنة التحضيرية في مدارس الإمام والخطيب

سنة إلزامية في عموم تركيا على جميع مدارس الأمام والخطيب البوروجا الثانوية، وهى سنة مستقلة عن الأربع سنوات الدراسية في الثانوية لذلك سميت بالسنة التحضيرية، لأن الطلاب يتعلمون فيها اللغة بشكل مكثف مع بعض الدروس الأخرى في الرياضيات واللغة الأجنبية الثالثة (الإنجليزية) وبعض دروس التاريخ والأدب إلخ، وبجانب الامتحانات المدرسية، يعقد في نهاية العام امتحاناً على مستوى المدارس الثانوية يصدر من إدارة التعليم في أنقرة، الامتحان يقيس مستوى الطلاب بعد دراسة اللغة لمدة عامٍ كاملٍ يتم فيه دراسة خمسة كتب من سلسلة " اللسان" وهى السلسلة المعتمدة في المدارس الثانوية في عموم تركيا. وتُعلن النتائج وتُصنف المدارس على حسب درجات الطلاب، وتحصل كل مدرسة على مرتبة في عموم تركيا، فتبذل الجهود من قبل المعلمون العرب والأتراك للنهوض بمستوى الطلاب للحصول على درجة مرضية لإدارة المدرسة. وتهتم إدارة المدرسة وكل العاملين فيها بالحصول على معدل عالي حتى تحتل المدرسة مكانة ودرجة بين باقي المدارس في عموم الجمهورية التركية، مما نتج عنه استقدام الأساتذة العرب للعمل في هذه المرحلة، لتنمية مهارة المحادثة والاستماع، وفهم المقروء والتدريس بطريقة الانغماس اللغوي والتكامل في تدريس المهارات الأربع، علاوة على ذلك يشترط بعض مدراء المدارس على المعلم العربي عدم استخدام الترجمة داخل الصفوف الدراسية، بل أحياناً يفضل المعلم الذي لا يعرف لغة ثانية حتى يتعلم الطلاب اللغة العربية بشكل أسرع. مما أدى إلى تعلم اللغة العربية بشكل جيد في بيئة لغوية طبيعية يعتمد فيه المعلم الناطق الأصلي باللغة على الأدوات المختلفة لتوصيل المعلومة، بغمس الطالب لغوياً داخل اللغة ويتم اكتساب المهارات الأربع بشكل متكامل.

وأكثر المدارس وفرت للمعلم الأدوات اللازمة لتطبيق طريقة الانغماس اللغوي التكاملي داخل حجرة الدراسة من: سبورات ذكية، أجهزة عرض، حواسيب، إنترنت، والسماح بكتابة اللافتات باللغة العربية داخل الصف وخارجه، والسماح للمعلم باصطحاب الطلاب خارج المدرسة للقيام بممارسة اللغة خارج الفصول الدراسية سواء بالزيارات الميدانية داخل الأسواق والمتاجر، أو في حديقة المدرسة في الهواء الطلق حيث يغرد المعلم مع طلابه باللغة العربية ليعزفوا أرق الألحان بلغة الضاد.

طريقة ونظام التدريس (الواقع والمأمول)

من المتفق عليه لدى الجميع أن لكل مهارة من مهارات اللغة طريقة خاصة في تدريسها فهناك استراتيجيات لتعليم المحادثة، وأخرى للقراءة والكتابة واستراتيجيات لتعليم الاستماع، وهذا يمكن معرفته من الاطلاع على كتب طرائق تدريس اللغة العربية، إلا أن طرائق تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها، يطرأ عليها بعض التغيرات في تفاصيل الطريقة الجزيئية، مع بقاء الخطة العامة للطريقة فهي ثابتة.

ويجدر بنا أن نشير إلى بعض الطرائق الهامة والمتفق عليها في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها، ولعل أبرزها الطريقة التكاملية في تدريس المهارات ، وهي من الطرائق التي تعتمد على التكامل في العملية التعليمية بكل جوانبها (الكتاب والمعلم) بحيث يفضي هذا التكامل إلى النهوض بالعملية التعليمية للمستوى المأمول. وأكثر المدارس التركية تتبع هذه الطريقة حيث يقوم المعلم العربي بتدريس اللغة العربية بشكل متكامل بطريقة تكاملية بين مهارات اللغة الأربع، بغمس الطالب داخل وعاء اللغة غمسًا. بالمواقف الحقيقية أو الاصطناعية التي يعتمد عليها أثناء العملية التعليمية. ومما لاشك فيه أن هذه الطريقة مثل أي شيء لها سلبيات كما أن لها إيجابيات ففي بعض الأحيان يكون هناك ضعف عام في مستوى الطلاب وهذا ناتج عن ضعف المعلم، لذلك يتحتم علينا اختيار المعلم بدقة كبيرة، فليس كل مالك للمعلومة يستطيع توصلها للطلاب، فإذا كان المعلم ضعيف نتج عن هذا ضعف عام في مستوى الطلاب، وعلى الجانب الآخر نرى تقدم وتطور ممتاز لدى الطلاب الذين درسوا مع معلم متمكن من طرق التدريس بطريقة الانغماس التكاملي، لذلك يحسن بنا أن نؤكد ضرورة الانسجام بين الطريقة ومستوى المعلم والكتاب وهدف الطالب وتوفر الأدوات.

ومما يجدر ذكره أن بعض الطالبات الأتراك من مدارس الإمام والخطيب شاركن في مسابقة مناظرات قطر في عام ألفى وثامنة عشر وحصد فريق الجمهورية التركية - الموالاة - لقب البطولة بحصوله على المركز الأول في نهائي البطولة الدولية الرابعة للمناظرات. وتنافس الفريقان التركي واللبناني على لقب البطولة في القضية التالية: "يرى هذا المجلس أن تدخل الدول الكبرى ومواقفها السياسية سبب رئيسي في تدهور دول العالم الثالث" وجاء الفريق اللبناني - المعارضة - في المركز الثاني. وحلَّ فريق سلطنة عُمان في المركز الثالث بعد منافسة حادة بينه وبين فريق جمهورية سنغافورة، الذي حل في المركز الرابع. وعلى الرغم من صعوبة المنافسة مع فريق عربي الأصل إلا أن طالبات مدرسة أحمد عاكف في إزميت استطعن الفوز على الفريق العربي.

وجاءت نتائج أفضل المتحدثين في البطولة على النحو التالي: المتحدثة الأولى في البطولة الطالبة ريان مؤيد الرفاعي من دولة الكويت الشقيقة، بينما فاز الطالب عبد الله فايز غازي العنزي من دولة الكويت الشقيقة بجائزة ثاني أفضل متحدث، في حين فازت الطالبة أسماء كوطان من تركيا بجائزة ثالث أفضل متحدث، بينما حلت الطالبة سارة الجديدي من تونس في المركز الرابع، وجاء الطالب إبراهيم عبد القادر محمد من أستراليا في المركز الخامس. وجاءت الطالبة رميساء أيدن من الجمهورية التركية في المركز السادس، بينما حل الطالب عيسى أحمد عبد الكريم محمد من دولة الكويت في المركز السابع. بدورها، جاءت الطالبة زينب كوكجه من الجمهورية التركية في المركز الثامن، وحلت الطالبة مريم بنت عبد الحق بن عربية من الجمهورية التونسية في المركز التاسع. وأخيراً، جاء الطالب سلمان أنس الهندي من دولة قطر في المركز العاشر.

ومما سبق نرى أن الطالبات الأتراك أخذن المركز الثالث والسادس والثامن وتميزن وسط المتسابقين من الدول العربية، والتحدي في مثل هذه المسابقة ليس مقتصرًا على اللغة وحدها، بل يشمل أمورًا كثيرة منها فن المناظرات نفسه الذي يحتاج إلى تدريب ومهارة عالية فالطالبات أمام مجموعة من التحديات الصعبة (اللغة-الطلاقة اللغوية-فن المناظرة) بالرغم من صعوبة التحدي استطعن الفوز بجدارة.

الخاتمة

إن تعليم اللغة العربية في تركيا يسير في مسارٍ جيد، حيث رسمت تركيا لنفسها هدفًا واضحًا وهو تعلم اللغة العربية بشكل صحيح ومتكامل وعدم الاعتماد على الطرق القديمة في التعلم وعلى رأس هذه الطرق طريقة القواعد والترجمة، ولذلك ركزوا على التواصل المباشر مع العرب ومن خلال الاشتراك في المناظرات والتعلم على يد أساتذة عرب والسفر إلى البلاد العربية بعد دراسة اللغة لممارسة ما تم تعلمه في بيئة عربية حقيقية ولقد وفرت الدولة والحكومة الفرص المجانية للطلاب المتفوقين من خلال منحهم قضاء شهرًا في الأردن وكذلك رحلات العمرة إلى السعودية وغيرها من المكافآت المادية التي شجعت على دراسة اللغة.

المصادر والمراجع:

- عبدالمعزم، الناصر، تطوير أساليب تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وقائع حلقة نقاش في كلية الآداب بجامعة فيلادلفيا بالأردن، عمان، 8 كانون الثاني 1997، ص 36.
- عبد العزيز، العصيلي، طرائق تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى-جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-2002.
- -علي، مدكور، وإيمان، هريدي و آخرون، المرجع في مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، ط 1 (القاهرة: دار الفكر العربي، 2010م) 383.
- علي، الشاعر، و راشد، كيريبوي، أهمية الأسلوب التكاملي في تعليم مهارات اللغة العربية
- مؤسسة إسطنبول للتعليم والأبحاث (ISAR) ملخصات أبحاث مؤتمر إسطنبول الدولي الثاني تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، إضاءات ومعالم، في الثامن من أكتوبر 2016.
- <https://www.almrsal.com/post/1149345>
- <https://qatardebate.org/ar/%D8%A3%D8%AE%D8%A8%D8%A7%D8%B1/turkish-team-wins-first-place-in-4th-isadc>